روايات الهلال للأولاد والبنات

سلسلة تاريخ مصر

Looloo
www.dvd4arab.com

منتصر ثابت

خوناثوب.. الفلاح الفصيح

مقدمة

الحرية أساس الحكم..

العلاقة بين الحاكم والمحكوم قضية شائكة وصعبة منذ بدء الخليقة وحتي الآن، خاصة عندما يغيب القانون أو ينام أو يتم تفصيله لصالح الحاكم وحاشيته.. والغريب أن كثيرا من الحكام كانوا محكومين ولكنهم ما إن يجلسوا على (الكرسى) حتى تتملكهم الأثرة وحب الذات مما يضع الكثير من الحواجز والجدران بينهم وبين شعوبهم وتتركز هذه الحواجز فى الحاشية أو «مراكز القوى» التى تسعى إلى خنق (حرية التعبير) حتى لا يصل صوت المظلومين والمقهورين إلى الحاكم وذلك لأن أغلب هذه المظالم تتم على أيدى هذه الحاشية.

ورغم أن الحرية هى أساس الحكم الرشيد إلا أن بعض الحكام يرون فى تلك الحرية عدوهم الأول كما أن كل مراكز القوى تعمل على وأد أى برعم من براعم حرية التعبير مهما كان صغيرا.

www.dvd4arab.com

وعندما يسمح الحاكم - أى حاكم - بازدهار حرية التعبير فإنه يحمى حكمه وذلك بتعرية كل بؤر الفساد والمفسدين وحرية التعبير ليست مسئولية الحاكم وحده ولكنها مسئولية المحكوم - ربما بشكل أكبر - فالحريات - كل الحريات - لا توهب ولكنها تكتسب ولا يضيع حق وراءه مطالب.. وهنا تكمن أهم الدروس المستفادة من قصة الفلاح الفصيح.. ذلك القروى البسيط الذى كان يعيش فى وادى النطرون ويعتمد فى حياته على بيع الملح وجلود الحيوانات يحملها على حميره ويذهب بها إلى العاصمة فى أهناسيا الموجودة الآن فى بنى سويف عند المدخل الشرقى للفيوم.

وقد حدثت تفاصيل هذه القصة فى الأسرة العاشرة ويؤكد الدكتور سليم حسن أن حوادث هذه القصة قد حدثت فى عهد الملك (نب كاورع) أحد ملوك هراكليو بوليس (مدينة أهناسيا الحالية) وتتلخص القصة فى أن فلاحا من إقليم وادى النطرون وجد مخازن غلاله تكاد تكون خاوية فوضع الملح وجلود الحيوانات على حميره وذهب

إلى أهناس طلبا للمبادلة بالغلال.. وقد كان عليه أن يمر فى طريقه إلى العاصمة بمنزل (تحوتى تحت) أحد الموظفين الكبار فى الإقليم والذى إشتهر بظلمه وجبروته فعمل بكل الطرق على مصادرة بضاعة الفلاح وحميره، ولم يجد هذا القروى البسيط مفرا من أن يشكو إلى حاكم الإقليم (رنزى بن مرو) الذى نقل هذه الشكوى إلى الفرعون فأعجب بما فيها من لغة رفيعة وقدرة على التعبير وشجاعة فى طلب الحق ورغم يقين الفرعون بأن الفلاح على حق إلا أنه أمر بعدم الرد عليه مع توفير كل وسائل العيش لأسرته وتوالت شكاوى الفلاح الفصيح حتى بلغت تسع شكاوى، يوجد منها أربع نسخ تختلف فى كثير من تعبيراتها وتوجد نسخة من بردية شكاوى الفلاح الفصيح فى متحف برلين كما توجد نسخة أخرى فى المتحف البريطانى.. ورغم أن وقائع هذه القصة حدثت فى الأسرة العاشرة إلا أنها لم تكتب إلا خلال الأسرة، الثالثة عشر وقد تأكد ذلك من خلال دراسة الخط الذى كتبت به هذه الشكاوى. وفى هذا الإطار نذكر أن وصايا الملك (خيتى)

www.dvd4arab.com

لابنه (مير كارع) والتى كتبت فى نفس العصر (الأسرة التاسعة والعاشرة) لم يتم كتابتها إلا خلال الأسرة الثامنة عشر ويتسم عصر الأسرتين التاسعة والعاشرة بحالة من التفكك السياسى وضعف السلطة والانهيار الاقتصادى حيث لم يحكم حكام هاتين الأسرتين إلا مصر الوسطى حتى منف وكان الصعيد مقسما إلى مملكتى أهناسيا وطيبة بينما شرق الدلتا كان تحت سيطرة البدو.. وبشكل عام فإن آثار هذه الفترة نادرة جدا وتتلخص فى هرم وحيد موجود فى سقارة وهو للملك (مريكارع) ويعنى إسمه (محبوب روح رع). كما توجد بعض النقوش الصخرية الضعيفة جدا فى مقابر حكام الأقاليم. وقد كان إله هذه الدولة فى إهناسيا هو كبش (حريشف) والذى يعنى اسمه (الذى علا بحيرته).

ورغم حالة الترهل السياسى والاقتصادى فى فترة الأسرتين التاسعة والعاشرة إلا أن أكبر إنجازاتها يكمن فى تلك الأعمال الأدبية الرائعة والتى تأتى شكاوى الفلاح الفصيح بما تعبر عنه من حرية على قمتها وقد ضمنت هذه الحرية

الخلود لهذه الفترة رغم ترهلها السياسى .. وقد حرصنا فى هذه الرواية (خونانوب.. الفلاح الفصيح) على نشر ملخصات وافية للشكاوى التسع والتى توجد نصوصها الكاملة فى العديد من كتب التاريخ التى تتعرض للحضارة المصرية القديمة وفى مقدمتها كتب د. سليم حسن.

المهم أن تلك الأعمال الأدبية الرائعة والتى إتسمت بأعلى قدر من حرية التعبير تلك الحرية التى أتاحها الحاكم الفرعون لمحكوميه والتى حرص المحكوم - الفلاح الفصيح - على أن يمارس حقه الكامل فى التعبير الحر وقد قدم ذلك الفلاح البسيط من خلال شكاواه التسع نموذجا رائعا لكيفية ممارسة حرية التعبير حيث توزعت شكاواه ما بين شرح الحقائق وإثبات حقوقه وبين الانتقاد الشديد للفاسدين والغاصبين.

ويذهب بعض علماء التاريخ إلى أن قصة الفلاح الفصيح ربما تكون مجرد (إبداع أدبى) يعبر عن رغبة الشعب فى إرساء العدل ومقاومة الظلم والفساد.. حيث يتجسد فى الفلاح البسيط خونانوب نموذج المحارب ضد الظلم وسواء أكانت

www.dvd4arab.com

القصة حقيقية أم مجرد إبداع أدبى فإنها تؤكد على حتمية وجود حرية التعبير لمصلحة الحاكم والمحكوم كما تؤكد هذه القصة على عظمة الحضارة المصرية القديمة التى أرست قواعد الحرية والديمقراطية رغم ما اشتهر عنها من أنها حضارة (فراعنة) .. والمؤسف أننا ونحن فى الألفية الثالثة بعد الميلاد نرى الكثير من دول العالم يغيب عنها حرية التعبير كما يغيب عنها العلاقة السوية بين الحاكم والمحكوم مما يجعلنا نهفوا إلى استعادة أو استنساخ الفلاح الفصيح وتجربته الرائدة.

محمد الشافعى

ذكرنا أن آثار الفترة التي جرت فيها أحداث قصة الفلاح الفصيح نادرة جدا مما أدي إلي غياب الصور المعبرة عن هذه الفترة وقد وجدنا البديل في الفيلم الرائع الذي أبدعه الفنان الراحل شادي عبدالسلام (شكاوي الفلاح الفصيح) فأخذنا بعض الصور التي أبدعها الفنان انسي أبوسيف لتمثل إضافة مهمة لهذه الرواية.

هذه قصة الفلاح الفصيح خونانوب حاولت فيها الأحتفاظ بنصوص الشكاوى التسع وكل الفقرات الموجودة بين علامتى التنصيص هى كما وردت فى البرديات الفرعونية لاعطاء صورة حقيقية عن روعة وعظمة ادبنا المصرى القديم .

أنها صفحة مشرقة من تاريخ مصر الفرعونية حدثت فى عهد الملك نيبقورع أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة لمصر حيث كانت العاصمة هى أهناسيا .. تلك المملكة التى أعقبت عصر بناة الأهرام العظماء حيث كانت العاصمة منف .

انها تظهر إلى أى مدى بلغ الرقى الحضارى فى مصرنا العظيمة أيام الفراعنة وكيف كانت العلاقة بين الحاكم والمحكوم وقدرة المواطن المصرى البسيط على نقد الحاكم وسعة صدر الحاكم فى تقبل الرأى الآخر .

منتصر ثابت

looloo
www.dvd4arab.com

(١)

بطل قصتنا فلاح بسيط اسمه خونانوب كان يعيش أيام أجدادنا الفراعنة العظماء ، يسكن منطقة اسمها واحة الملح في وادى النطرون غرب إقليم الفيوم .

بعد أن يجمع خونانوب محاصيله وغلاته من خيرات الأرض التي أجتهد في زراعتها يقوم بتعبئتها في أجولة، ويضيف إليها جلود الحيوانات والملح ويضعها جميعاً على ظهور حميره ويذهب بها إلي العاصمة حيث يبيعها هناك .

كان بطلنا يحب السفر ويري فيه سبيلاً ليتعرف على وطنه ، وابناء وطنه في بلاد أخرى وتشبع نفسه الظامئة إلي المعرفة ويكتسب خبرات جديدة .

ويعود خونانوب بعد كل رحلة ليجد تحوت ابنه الصغير فى انتظاره . يجلس بشغف أمامه ليسمع منه أخبار العاصمة وفتوحات الفرعون ومشاريعه الجديدة . كان تحوت يصغى بانبهار وفخار عندما يتطرق أبوه لما يكتشفه علماء مصر الأفذاذ فى الطب والفلك والعلوم والفنون .

وعندما يجتمع أهالى وادى الملح ليقص لهم خونانوب عن احتفالات ايزوريس ووفاء النيل

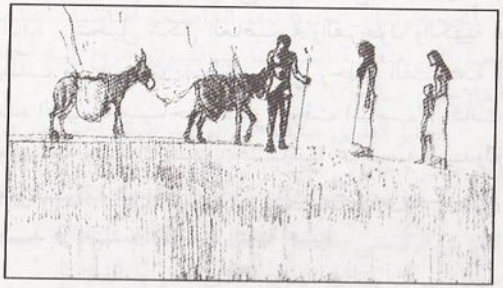

فيلم شكاوى الفلاح الفصيح..اخراج شادى عبد السلام (مشهد ١٠، لقطة ١٠)

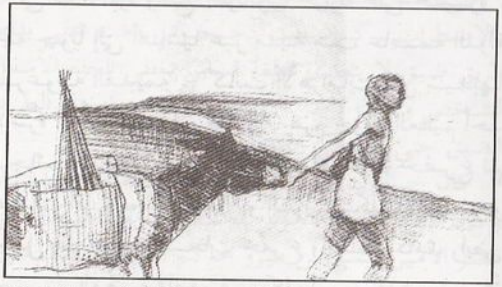

فيلم شكاوى الفلاح الفصيح..اخراج شادى عبد السلام (مشهد ١٠، لقطة ١٠)

Looloo
www.dvd4arab.com

واحتفالات الكهنة فى معابد العاصمة يظل تحوت جالساً بانتباه . يعيش فى خياله كل ما يحكيه والده . يتخيل شكل العاصمة والفرعون والكهنة ، ويطلب من أبيه أن يصطحبه في رحلته القادمة . يعده الأب أنه سيأخذه في الوقت المناسب . كانت العاصمة وقتذاك هى أهناسيا عاصمة الدولة الفرعونية الوسطى وكان ملك مصر نيبقورع أحد فراعنة الأسرة الثانية عشرة .

(٢)

فى تلك المرة وضع خونانوب تجارته على حميره . اتجه جنوباً إلى أهناسيا عبر مدينة منف عاصمة الدولة الفرعونية القديمة .. كانت الأهرامات التى شيدتها الأسرة الرابعة ترقد فى جلال . هرم خوفو العظيم أحد عجائب الدنيا السبع . وبجواره أهرامات خفرع ثم أهرامات أقل حجماً بينما أبو الهول بشكله المهيب وهو يحمل على وجهه قسمات خفرع وجسمه كأسد رابض يحرس .. الهضبة المقدسة .. كلما يمر خونانوب يملأ قلبه الفخر أنه من هذا الشعب العظيم وهذه الحضارة المجيدة .. شعب مصر وحضارة الفراعنة .. ثم يأخذ

طريقه على ضفة النيل المقدس واهب الحياة . يشعر بالحب والعرفان لهذا النهر الخالد.

أتجه خونانوب جنوباً نحو العاصمة أهناسيا . عندما وصل إلى منطقة اسمها بيرفيوني هرع إليه أحد الفلاحين صائحاً .

– أحذر الطريق مقطوع . يوجد طريق آخر يمر من أمام بيت دجحوتي نخت .

أشار الفلاح لخونانوب ناحية الطريق الآخر، كان الطريق الرئيسى بالفعل مقطوعاً تغرقه المياه مما أضطر خونانوب أن يسلك الطريق الذى أشار به الفلاح .

شيء ما جعل قلب خونانوب يشعر بالقلق والاضطراب . كان بيت دجحوتي نخت علي بداية طريق ضيق لا يتعدى قطعة قماش تغطى الجزء الأسفل لشخص وكان لابد لخونانوب أن يجتاز هذا الطريق الضيق حتى يكمل رحلته .

كان خونانوب يحس بأن شيئاً غير حسن سيحدث .. وكان محقاً لأن دجحوتي نخت وهو موظف كبير فى قصر الأمير رينسي بن ميرو حاكم المقاطعة كان شريراً طماعاً بما لا يليق بموظف رسمى فى خدمة الفرعون، تستوجب وظيفته أن يكون أميناً نزيهاً ، محافظاً على القانون .

Looloo
www.dvd4arab.com

(٣)

كانت قافلة خونانوب تقترب .. رآها دجحوتى نخت وهو يتمشى فوق سطح بيته . برزت عيناه الطامعتان تستطلعان ما تحمله هذه الحمير علي ظهورها . سال لعابه لما فوقها من خيرات . قلبه الشرير فكر كيف يستولى على قافلة الفلاح المسكين ..

فجأة أسرع هابطاً إلى أسفل وقد لمعت فى عقله حيلة خبيثة . استدعى دجحوتى نخت بعض عبيده ، أمر أحدهم بأن يحضر قميصاً من أقمصته الرسمية ويبلله بالماء .

احضر الخادم قميص سيده بعد أن بلله بالماء ، طلب دجحوتى نخت من الخادم أن يضع القميص على الممر الضيق من الطريق وجلس هو يرقب تقدم القافلة . عندما وصلت قافلة خونانوب إلى أول الطريق تحفز خونانوب للعبور بحميره ، نهض دجحوتى نخت يحيط به رجاله وصاح فى الفلاح الذى نظر إليه فى دهشة وتعجب .

– أنت أيها الفلاح . حاذر وأنت تعبر أن يتسخ قميصى من حميرك .

رد خونانوب بأدب

– «سأبذل جهدى يا سيدى» .

بخشونة أنهى دجحوتى نخت الحديث

– لقد حذرتك وإلا ستكون عاقبتك وخيمة

أخذ الموظف الشرير عبيده والشر يبرق فى عيونهم إلى جانب الطريق يتابعون كيف سيعبر الفلاح بحميره هذا الممر الضيق .

كان التحرش بادياً من تصرف دجحوتى نخت لكن خونانوب طمع أن يفوت الفرصة على هذا الموظف الذى يحتمى بوظيفته وعبيده .. آمل خونانوب أن تنجح قافلته فى عبور الطريق الضيق دون أن تدوس على القميص وبذلك لا يدخل فى منازعة غير متكافئة مع هذا الرجل دجحوتى نخت وعبيده يتذرع فيها للاستيلاء على بضاعته ، أنه يتجنب الشر طالما استطاع إلى ذلك سبيلا .

بذل خونانوب جهداً كبيراً لكى يبتعد بحميره عن قميص الموظف الكبير ، جنح ناحية حقل القمح الذى على يسار الطريق ، أخيراً وبصعوبة بالغة نجح خونانوب أن يعبر الطريق دون أن يدوس على القميص المبتل .. أخذ الفلاح نفساً عميقاً متحاشياً أن تلتقى عيناه بعيون الموظف وعبيده المتقدة غيظاً وحنقاً وقد عبرت القافلة الطريق دون أن تمس القميص .

Looloo
www.dvd4arab.com

(٤)

فجأة أحاط دجحوتى نخت وعبيده بخونانوب صارخاً

– قف أيها الفلاح اللص . لابد أن تدفع ثمن ما فعلت .

نظر خونانوب بعجب إلي القيمص المبتل . كان القميص مكانه لم تمسه قدم أحد الحمير . سأل مستوضحاً .

– ماذا حدث يا سيدى ؟! حميرى لم تطأ ملابسك.

أجاب دجحوتى بغضب

– أنا لا أتكلم عن ملابسى . أنظر ماذا فعلت حميرك بأرضى؟ لقد أتلفت المحصول قبل أن ينضج . أنظر .. أمتد خونانوب ببصره حيث أشار الموظف ، كان أحد الحمير يمضغ حزمة قمح . أراد خونانوب أن ينهى الأمر فى ود وسلام .

– «يا سيدى انه حيوان لا يفهم وعندما جعلته ينحرف بعيداً عن ثيابك أكل حزمة قمح . دعنى أعبر لحالى» .

ظن خونانوب أنه بذلك قدم التوضيح الكافى الذى يرضى الموظف الكبير .. كان الموظف الكبير علي عكس ما يجب أن يكون من نزاهة وأمانة كأحد موظفى

فرعون العظيم، لقد دبر أن يسلب قافلة الفلاح المسكين مهما كانت وسيلته شريرة وكلامه غير مبرر ، صاح فى الفلاح وهو يشير إلى رجاله إذن سأخذ ذلك الحمار بما عليه ثمناً لهذه الفعلة الشنعاء . هذا هو سبيلك الوحيد لتخرج من هنا .

كان هذا الظلم الصارخ أقوى من قدرة خونانوب على الاحتمال .. رد مستنكراً .

– «لقد اشتريت حمارى بسبب قدرته على التحمل وأنت تستولى عليه لأنه ملأ فمه بحزمة من قمحك لا . لا . إنى أعرف سيد هذه المنطقة رينسى بن ميرو الذى يخسف بكل اللصوص فى هذه الأرض . هل أسرق فى منطقته ؟

استشاط دجحوتى نخت غضبا لم يكن يظن أن هذا الفلاح سيرد عليه بهذه القوة والحدة، أمسك بخناقة وهو يدفعه قائلا :

– أنا لص أيها الفلاح الوقح. تتهمنى أننى لص سألقنك درسا لن تنساه .

أنهال رجال دجحوتى نخت على خونانوب ضربا ثم أخذوا حميره جميعها وساقوها إلى أرض سيدهم وتركوا الفلاح المسكين وحيدا يئن ويتوجع من كثرة الألم .

Looloo
www.dvd4arab.com

(٥)

عشرة أيام كاملة قضاها خونانوب أمام أرض دجحوتى نخت يصرخ بأعلى صوته مطالبا بحميره وبضاعته .

أكثر من مرة هرع إلية رجال الموظف الكبير الظالم. هددوه أنه إذا لم ينصرف سيضرب مرة أخرى، لكن خونانوب لم يضعف أمام الظلم، لقد حاول أن يتجنب الشر لكن عندما يقع الظلم لابد من مواجهته.. المواجهة هنا تساوى الكرامة والحياة .

ما أن ينصرف رجال دجحوتى نخت حتى يعاود خونانوب الصراخ .. تجمع الناس حوله، قال لهم إنه سرق ونهب من الموظف الكبير .. همس بعضهم فى أذنه .

– هذا الرجل شرير جدا وظالم جدا .

قال لهم خونانوب .

– الشر ينقلب على صاحبه. أما الظلم فانه من الجبن عدم مواجهته، الناس تستحق أن تظلم إذا ارتضت السكوت عن الظلم .

أسرع كبير الخدم إلى دجحوتى نخت .

– يا مولاى.. الفلاح الذى أخذت حميره يثير الناس

ضدك وأخشى أن يحركهم ويتحول صمتهم إلى ثورة ضدنا .

خرج الموظف وسط رجاله إلى خونانوب ..

أسرع الناس بالابتعاد عن المكان وإن ظلت عيونهم شاخصة تستطلع ما يستجد من أخبار وأرهفت آذانهم لما يدور من حوار.

ارتفع صوت دجحوتى نخت بكبرياء وقسوة ليسمعه الجميع .

– «لاترفع صوتك يا فلاح، إنتبه سيكون مصيرك مقر سيد الصمت» .

كان التهديد يعني الموت .. لكن ماذا تساوى الحياة إذا كانت بلا كرامة أو عزة . أجاب خونانوب بشجاعة متحديا الموظف الكبير.

– «تضربني وتسرق حاجياتى ثم تسحب الشكوى من فمى !! يا اله الصمت !! رد حاجياتى أكف عن الصراخ وإزعاجك» .

أشار الموظف الكبير إلى رجاله فحملوا خونانوب وقذفوا به بعيدا عن المنطقة .

★★★

Looloo
www.dvd4arab.com

(٦)

عندما استرد خونانوب قواه أدرك أنه لا طائل من وقفته أمام هذا الموظف الظالم. كان هذا حافزا أقوى له على تلقين الموظف درسا فى عاقبة الظلم .

اتجه خونانوب إلى مقر رينسى بن ميرو أمير المقاطعة وحاكم الإقليم . سيشكو دجحوتى نخت ولن يخشى بأسه إن هذا الأمير العادل الذى يتكلم الناس عن حبه للخير وللحق مسئول عن موظفيه ويهمه أن تظل سمعة القصر العضيم مضيئة مشرقة لايسىء إليها موظف مثل هذا .

كان الطريق طويلا وشاقا ، زاد من مشقته سير خونانوب على قدميه بعد أن سرقت حميره بينما أثار الضرب مازالت عالقة به .

عندما وصل خونانوب إلى بيت حاكم الإقليم كان الأمير يستعد ليركب قاربه . استوقفه خونانوب وهو يستعطفه أن يسمع قصته، كان الحاكم فى عجلة من أمره لكن حالة الفلاح حركت قلبه الطيب. نظر الحاكم ناحية أحد أتباعه وأمره أن يسجل شكوى الفلاح ويحضرها إليه . ثم انصرف الأمير ودعوات الفلاح تحوطه.

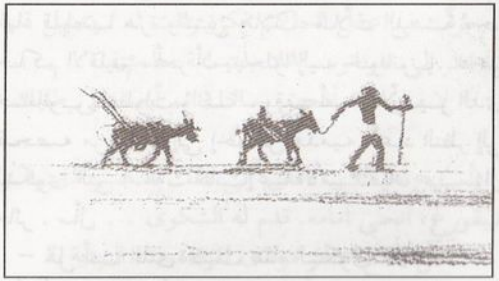

فيلم شكاوى الفلاح الفصيح..اخراج شادى عبد السلام (مشهد ١٠، لقطة ٢٠)

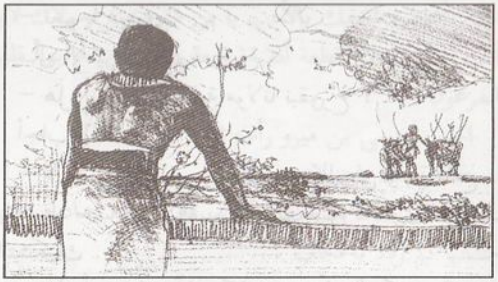

فيلم شكاوى الفلاح الفصيح..اخراج شادى عبد السلام (مشهد ١٠، لقطة ٣٠)

Looloo
www.dvd4arab.com

(٧)

فى اليوم التالى قرأ رينسى بن ميرو شكوى خونانوب. أعاد قراءتها مرة واثنتين وثلاث. ملأت الدهشة وجه حاكم الاقليم . أمر أن يدخلوا إليه خونانوب.. دخل خانانوب بخطوات واثقة . وقف أمام الأمير الذى تفحصه من رأسه إلى إخمص قدميه. أعاد النظر إلى الشكوى التى أمامه . كانت عينا الأمير تنقبان عن سؤال حائر . سأل .

– هل أنت الذى كتبت هذه الشكوى ؟

أومأ خونانوب برأسه مجيبا .

– نعم يا سيدى.

سأل الأمير باحترام .

– هل أنت أحد كتبة مولانا نبقورع ؟

أجاب الفلاح .

– لا ياسيدى أنا مجرد فلاح بسيط من واحة الملح .

أعاد حاكم الاقليم سؤاله مرة أخرى ممزوجا بالتشكيك .

– هل أنت واثق أنك كاتب هذه الشكوى ؟

على الفور أجاب خونانوب بثقة وتأكيد .

– نعم يا سيدى . أنا صاحب كل كلمة فيها .

كانت طريقة خونانوب وثقته فى الاجابة كافية لكى يصدق الحاكم أنه يقول الحقيقة .

طرأت فى عقل الحاكم فكرة راقت له . تمهل قليلا ثم نظر إلى خونانوب قائلا بابتسامة مطمئنة .

– لاتقلق .. سأفحص رسالتك ثم أبعث فى طلبك .

(٨)

أسرع حاكم الاقليم إلى ملك مصر الفرعون نيبقورع، أنحنى أمامه. قدم له الشكوى ..

– هل يتسع صدر مولاى لقراءة هذه البردية ؟

ضحك الفرعون وأجاب .

– أعرف شغفك بالأدب يا بن ميرو مثل مولاك لابد أنك عثرت على قطعة أدبية رفيعة فجئت تثلج بها قلب الفرعون.

احنى رينسى بن ميرو رأسه ثانية .

– هو ذاك يا مولاى .

قرأ الفرعون بشغف شكوى الفلاح . أعاد قراءتها منتشيا ثم ردد بأعجاب .

Looloo
www.dvd4arab.com

«إنك أب لليتيم وزوج للأرملة
وثوب الذى لا أم له
دعنى أجعل إسمك فى هذه الأرض
فوق كل قانون عادل
إنى أتكلم فهل لك أن تسمع
أقم العدل .. اكشف عنى الضر
أنظر إلى أن حملى ثقيل »

كان الوزير يقف بجوار الفرعون، صفق بيده طربا .. هتف.

– ما أروع ما تقوله يا مولاى .

نظر الفرعون ناحية رينسى بن ميرو.

– هذا الشاعر لابد أن نضمه إلى شعراء القصر .

تقدم حاكم الاقليم خطوة قائلا .

– إنه ليس شاعرا يا مولانا الملك .. إنه فلاح بسيط تعرض للظلم فكتب هذه الشكوى .

تعجب الفرعون .

– هذه شكوى إذن وليست من وحى الخيال .

– هو ذاك يا مولاى .. لقد سرقه أحد موظفى القصر ، أعجبتنى لغته العالية التى صاغ بها شكواه ولأنى أعرف مقدار حبكم للأدب والكتابة حرصت أن أعرضها على جلالتكم .

أجاب الملك .

– نعم ما فعلت يا ابن ميرو .

فكر الملك .. هذا الفلاح يكتب بهذه اللغة الساحرة والمؤثرة فى القلب لأنه يضع فيها أحاسيسه وشعوره بالظلم، ليس هناك أقوى من لغة المظلوم وصاحب الحق .

Looloo
www.dvd4arab.com

أنتظر رينسى بن ميرو أن يتأثر الملك بلغة هذا الفلاح ويأمر بإجابة شكواه وأن يضمه إلى شعرائه لكن الملك فاجأ الجميع بما أذهلهم ، نظر ناحية بن ميرو ثم قال :

– اسمع يا بن ميرو، لاترد على شكوى هذا الفلاح حتى آمرك.

أطبق على الجميع الصمت وخيبة الأمل.

(٩)

انتظر خونانوب أن يرد أحد على رسالته . لكن انتظاره طال بلا فائدة . قرر أن يعود إلى وادى الملح يطمئن أسرته ثم يأتى إلى ساحة الأمير رينسى بن ميرو فلا يغادرها حتى يقيم له العدل ويعيد إليه حقه ويقتص من الظالم. أنه لن يستسلم للظلم مهما كابد من مشقة.

عاد خونانوب إلى أسرته فوجد طعاما وشرابا. تعجب من أين أتى هذا الطعام والشراب الوفير! سأل زوجته فأجابت انه خادم المعبد أحضر هذه الخيرات إلى البيت وقال إن الإله أرسلها إليهم، سجد خونانوب شكرا للاله العظيم. انها رسالة واضحة. الاله يعرف أنه مظلوم وهو يرسل له هذه الخيرات ليخفف عنه ويكافئه على وقوفه ضد الظلم ومقاومته للحصول على حقه وإقامة العدل. الاله أبدا لن يرضى بالظلم، والظلم لن يزول إلا إذا وجد من يقف أمامه ويواجهه.

أسرع تحوت إلى أبيه كعادته، سأله عن أخبار رحلته وماذا رأى فيها . أجاب خونانوب حزينا إنه رأى ظلما يريد أن ينتصر ويسود على حق .

تعجب الصغير تحوت . كانت الكلمات أكبر منه . تخيل الحق كائنا جميلا طيبا بينما كائن آخر قبيح .

يهاجمه فى عنف راغبا فى إيذائه .. صاح تحوت .

– لا يا أبى لابد أن يدافع الحق عن نفسه ويهزم الشر الظالم القبيح .

ربت خونانوب بفخر على تحوت .

– هذا ما سيحدث يا بنى ولن يهزم الحق .

استراح خونانوب من رحلته الشاقة، ثم جلس يكتب شكواه الثانية، بالضبط كما قال تحوت الصغير لابد أن يدافع الحق عن نفسه ويهزم الشر . سجد ثانيا يشكر الاله ويعده أنه سيرضيه حتى يكون مستحقا لما أرسل اليه من خيرات . سيقاوم الظلم حتى يقيم العدل وينتصر الحق .

(١٠)

عاد خونابوب إلى العاصمة ، طلب مقابلة حاكم الاقليم . فى تصميم قدم شكواه الثانية . كانت الشكوى حادة عنيفة. تطالب بالحق فى منتهى القوة والتصميم . لاتهاب الحاكم ولا تخشى قولة الحق . كانت كلماتها تقول :

Looloo
www.dvd4arab.com

« يا سيدى

يا عظيم العظماء .. يا أغنى الأغنياء

أليس من الخطأ ميزان يميل وثقل ينحرف

ورجل مستقيم يصير معوجا

أنت الدفة فلا تنحرف

وأنت الميزان فلا تميل

كن معينا حتى تظهر قيمتك واضحة

اجعل لسانك يتجه إلى الحق

أنت يا أعـــلم النـــاس هـــل تبقى

جاهلا بأمرى

أنت يا مرشد كل غارق نجنى»

قرأ الحاكم الشكوى. تسللت كلماتها إلى قلبه . آه لو يعلم خونانوب مقدار ألمه من أجله. إنه ليس الدفة التى انحرفت ولا الميزان الذى يميل . لكن مايمنعه هو أمانته لرعون، أمانته تقتضى طاعة الملك حتى وإن اختلفت مع رغبته الخاصة، لو أن الأمر بيده لأعاد كل حقوق خونانوب بل لأمسك بالجانى وأقتص منه وعوض خونانوب لقاء كل ماتعرض له من ظلم وقسوة. نظر الحاكم نظرة طويلة لخونانوب أخذ خلالها قراره .. ابتسم وقال :

– أطمئن ... مازلت أفحص شكواك وعندما أنتهى منها سأستدعيك.

أطرق خونانوب قليلاً وقد صدمته الإجابة ، رفع رأسه فى تحد وقال:

– سأنصرف لكننى لن أغادر المقاطعة إلا إذا أجيبت شكوتى.

(١١)

لم ينم رينسى بن ميرو. أول مرة يواجه هذا الموقف. الحق واضح بين. والظلم صارخ مؤلم. لقد عاش عمره كله يحكم بالعدل ويعيد الحق. يقتص من الظالم وينصف المظلوم.

Looloo
www.dvd4arab.com

لكنه هذه المرة يشعر أن يديه مكبلتان لاتستطيعان شيئاً. أى موقف وضعه فيه الملك؟

ماذا يريد أن يمتحن فيه؟! هل يريد أن يمتحن أخلاقه ووفائه له؟ أن يختبر عدله وهل سيصمت عن الظلم الناهض أمامه فى تحد؟

إن ضميره يؤرقه على خونانوب هذا الفلاح المظلوم والذى يمنعه الملك من إنصافه. إنه حائر لايعرف ماذا يفعل!! الملك يختبره دون شك ولابد أن ينجح فى الاختبار، وماذا فى ضميره الذى يؤرقه!! لابد أن يفعل شيئاً لأجل خونانوب وإلا ما أستحق أن يعيش.

هب ابن ميرو من نومه، دون أن يلبس ملابسه الرسمية نادى خادمه الخاص وحافظ سره. أوصاه أن يذهب إلى واحة الملح وهناك يستقصى عن بيت خونانوب دون أن يعلم أحد بصفته، وعندما يصل إلى بيت خونانوب عليه أن ينفذ الخطة المرسومة بمنتهى الدقة والحرص.

(١٢)

أسرع الخادم الأمين بتنفيذ رغبة سيده، ارتدى ثياب حراس المعابد المقدسة، ساق أمامه قافلة صغيرة..، عندما وصل إلي بيت خونانوب .. أدخل القافلة إلى الداخل ،

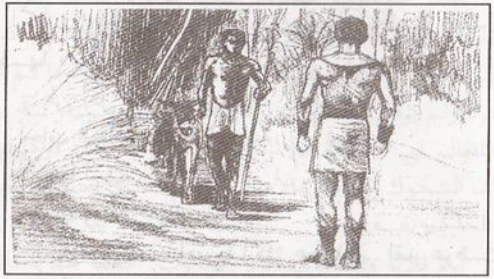

فيلم شكاوى الفلاح الفصيح..اخراج شادى عبد السلام (مشهد ١٠، لقطة ٦٠)

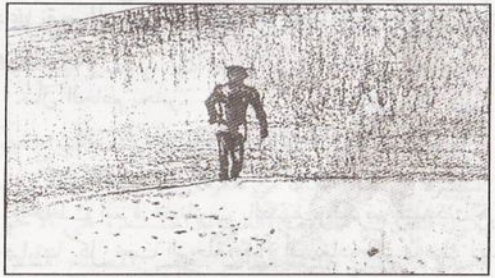

فيلم شكاوى الفلاح الفصيح..اخراج شادى عبد السلام (مشهد ٢٠، لقطة ١٠)

Looloo
www.dvd4arab.com

كانت القافلة مجمومة من الحمير التي تحمل أطعمة وكساء وحبوباً..

كانت زوجة خونانوب تنظر بعجب وتكاد لا تصدق نفسها ، سألت :

– لمن كل هذه العطايا؟

أجاب الخادم بابتسامة حانية.

– إنها لبيت خونانوب.

هتفت زوجة خونانوب.

– ما أعدل السماء وما أكثر عطاياها.. لقد عوضت زوجي بأكثر مما ضاع منه . شكراً ياحارس المعبد الطيب دعنا نقوم لك بواجب الضيافة فلابد أن رحلتك كانت طويلة.

سأل الخادم بحذر.

– من أين عرفت بطول رحلتي؟

– من ثياب السفر ووجهك المرهق.

أحاطت أسرة خونانوب بالضيف الكريم فتبددت فى حرارتها كل تعب الرحلة. قبل أن يغادر البيت ترك لهم صرة صغيرة من المال حتى يعود عائلهم . رقص نحوت فرحا .. صاح .

– إن الإله يبارك خطوات أبى.

(١٣)

انتظر خونانوب غضباً. كتب شكواه الثالثة وقرر أن يذهب بها هذه المرة إلى قاعة المحكمة. سيقدم شكواه إلى حاكم الإقليم فى قاعة العدل ذاتها. الحاكم لم يرد ولم يرفع الظلم عنه. ألا يعتبر هذا مشاركة منه للظالم فى ظلمه؟ ثم لماذا لايستدعيه حاكم الإقليم!! إن الشكوك تحيط بالأمر. ترسم ظلالاً سوداء على الحاكم نفسه.

أيام ثلاثة والشكوي أمام خونانوب. كلما هم بأخذها والذهاب بها إلي قاعة العدالة خشي أن يكون ظالماً للحاكم ، لعله يبحث بحق وسيأتي الوقت الذي يستدعيه فيه. لماذا يجزم أن الحاكم لم يبذل مساعيه في معرفة الحقيقة؟

لو أن الحاكم أراد التحقق من الأمر لتمكنت عيونه المنتشرة في كل مكان من معرفة الحقيقة كاملة ، ربما يكون الحاكم مظلوماً والعيون المنتشرة هي الأخري فاسدة من نفس طبيعة الظالم .. نفس المصالح المشتركة والطبقة والطائفة،، تقبض ثمن تضليل العدالة من دجحوتي، أى ثمن تقبضه من فلاح مسكين مثله لا يملك شيئاً؟

Looloo
www.dvd4arab.com

إن الإله ماعت إله العدل لا يرضى بغير العدل، والعدل لو لم ينتصر فلا معنى لكل هذه الحياة ، والعدل يظهر بالحجة والدليل.. عليه إذن أن يسعى فى إظهار الحق..

سيتقابل مع الأمير حاكم الإقليم وسيثبت له حقه حتى ولو كانت عيونه المنتشرة وشت له بغير الحقيقة.

(١٤)

سار خونانوب فى طريقه إلى قاعة المحكمة ليتقابل مع الحاكم..

عند باب المحكمة تقابلا . كان الهزال واضحاً على خونانوب . وعندما هم الأمير رينسى بن ميرو حاكم الإقليم بالدخول استوقفه خونانوب بثبات وهو يقف قبالته سائلاً.

– ماذا فعلت بشكواى؟

كانت الإجابة تقف فى حلق الأمير. إنها لاتستطيع الخروج من الفم. أمانته لاتجعله بقادر على الكلام عما حدث مع الفرعون وأمره النافذ له..

أبتلع الأمير الإجابة الصعبة وقذف بإجابة أخرى تغلق الطريق أمام خونانوب حتى يكسب وقتاً لعله يستطيع فيه

إقناع جلالة الفرعون. أجاب الحاكم.

– عد إلى بيتك وعندما يكون لك الحق سنرسل فى طلبك..

صدمت الإجابة خونانوب . نسى كل ما التمسه للحاكم من أعذار .. لم يتبق أمامه غير تجاهل من الحاكم ووقوفه مع الظالم ضده.

عندئذ رفع خونانوب صوته بشكواه الثالثة حتى سمعها كل من حوله.

Looloo
www.dvd4arab.com

«يأيها المدير العظيم للبيت ... ياسيدى..

ضيق الخناق على السرقة وأرحم الفقير.

إن أصدق وزن للبلاد هو إقامة العدل.

لا تكذبن وأنت عظيم.

لا تكونن ضعيفاً وأنت رزين.

ولا تقولن الكذب فإنك الميزان.

ولا تميلن فإنك الاستقامة.

اتق دنو الآخرة».

نظر رينسى بن ميرو إلى خونانوب طويلاً ثم غادر المحكمة دون أن ينطق بكلمة.

(١٥)

كانت عيون دجحوتى نخت تتابع مايحدث بين خونانوب والحاكم. صاحب القلق دجحوتى نخت تلك الأيام الطويلة. خشى أن تثير شكاوى خونانوب غضب الأمير عليه.

أو أن يستصدر أمراً من الفرعون بمحاكته . كثيراً ماانتظر استدعاء الحاكم له ليسأله عن التهم المنسوبة اليه .. لكن شيئاً من هذا لم يحدث.

عندما بثت عيون دجحوتي نخت خبر الأمر الذى أصدره الحاكم لخونانوب بالعودة إلى بيته حتى يبعث فى طلبه بدأت الراحة تتسلل قليلاً إلى قلبه ، رغم هذا ظل ترقب دجحوتى نخت متربصاً لاستدعاء الحاكم له أو لخونانوب..

عندما طال الإنتظار دون أى خطوة من الحاكم أو إشارة بغضب الأمير منه . عادت الطمأنينة إليه ظن أن الحاكم لايصدق فيه شيئاً .. وبدأت أوهام الشر تزيل من داخله كل قلق أخذ يقول فى نفسه إن شكاوى

www.dvd4arab.com

المساكين وعامة الشعب خاصة إذا كانت ضد بلاط وموظفى الملك لا يلتفت إليها .. هل ينصر الأمير هذا الصعلوك على موظف كبير فى القصر!!! الأمير سيحافظ على هيبة رجاله.

(١٦)

عاد رينسى بن ميرو إلى قصره . إنه لايستطيع أن يتحمل أكثر من ذلك . كان مشحوناً بمزيج من الغضب والإشفاق.

إن كلمات الفلاح تحمل اتهاماً صريحاً بالتواطؤ والكذب وتهديداً له من محكمة الموت وعقاب الإله. إن الفرعون يغل يده عن مناصرة الحق والقصاص من الظالم وتعويض خونانوب عما يلاقيه من آلام نفسية ومادية . الفرعون يتسبب له في هذا الموقف المحرج الذى جعل الشك يتسرب إلى داخل الفلاح المسكين من ناحيته.

أخذ رينسى بن ميرو قراره بأن يسرع بإرسال شكاوى الفلاح خونانوب إلى جلالة الفرعون «نيبقورع» كان الحاكم واثقاً أن الملك سيغير رأيه بعد أن يقرأ شكوى خونانوب الأخيرة.

(١٧)

انتظر رينسى بن ميرو رد الملك بفارغ الصبر وعندما وصل الرد أسرع الأمير بفض الأوامر الملكية . كانت هناك عبارة واحدة تنتظره.

صرخ رينسى بن ميرو.

– لا .. هذا صعب.

كانت العبارة تقول بأمر ملكى واضح وقاطع.

«لاتجب خونانوب إلى شكواه».

كاد رأس رينسى بن ميرو ينفجر .. لماذا يصر جلالة الفرعون بهذا الشكل على تجاهل شكوى الفلاح؟ وفى نفس الوقت يطلب أن تأتى إليه شكاوى الفلاح أولاً بأول وعلى وجه السرعة!!

كيف يهتم بالشكاوى بهذا الشكل وفى نفس الوقت يأمر بعدم إجابته إلى شكواه!! إنه لا يستطيع أن يخالف أمر الفرعون خاصة بعد هذا التأكيد الذى أرسله جلالته فى رسالته.

دخل خادم حاكم الإقليم . كان الخادم يحمل رسالة جديدة. خفق قلب رينسى بن ميرو. إنه يعرف هذه الرسالة من شكلها الخارجى.إنها من نفس رسائل الفلاح خونانوب . ماذا بعد كل ماقاله وأتهمه به.

Looloo
www.dvd4arab.com

أسرع الأمير بفض الشكوى الرابعة، تمتم لنفسه قبل أن يقرأ الشكوى.

– كم أنا فخور بالتصميم الذى يحمله هذا الفلاح البسيط .. هذا التصميم فى الحصول على الحق لا يمكن أن يخيب.

عندما بدأ حاكم الإقليم قراءة الشكوى أخذت ملامحه تتغير شيئاً فشيئاً ..حتى ملأ الغضب صفحة وجهه.

(١٨)

كانت الشكوى الرابعة تحمل لهجة جديدة.

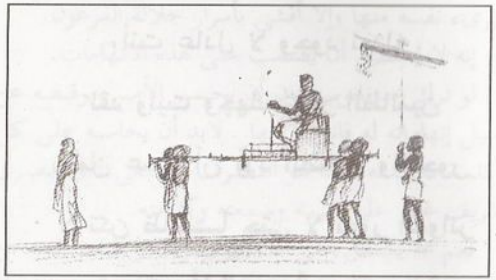

فيلم شكاوى الفلاح الفصيح..اخراج شادى عبد السلام (مشهد ٢٠، لقطة ٢٠)

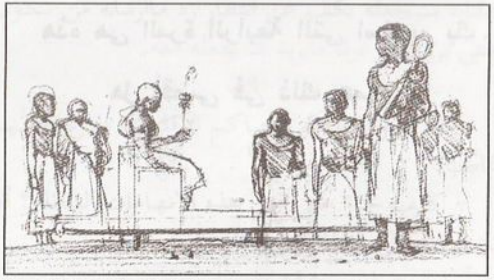

فيلم شكاوى الفلاح الفصيح..اخراج شادى عبد السلام (مشهد ٢٠، لقطة ٤٠)

Looloo
www.dvd4arab.com

«أنت عادل لا وجود لعدله.

لقد وليت وجهك شطر الظالمين

فمن عسي أن يرد الضلال والفجور

لا تكن ظالمـــاً حتى لا تدور الدوائر

عليك يوماً.

هذه هى المرة الرابعة التى استجير بك.

هل أقضى فى ذلك عمرى؟

كانت الإتهامات قاسية ومباشرة .. لم يتهمه أحد قط بمثل هذه الإتهامات .. والأكثر أنه لا يستطيع أن يبرىء نفسه منها وإلا أفشى بأسرار جلالة الفرعون.

إنه لا يستطيع أن يصمت على هذه الاتهامات.

لو ترك خونانوب دون أن يحسم الأمر ويوقفه عن سيل إتهاماته له فانه يقر بها . لابد أن يحاسبه على كل كلمة قالها له. هذا هو التصرف الطبيعى لأى مصرى شريف غيور على اسمه وسمعته وكرامته.

نعم انه يشفق على خونانوب ويقدر ماهو فيه من شعور بالظلم والإحباط .. لكن الأمر تجاوز الحد . ثم إن عقابه سيجعله يكف عن انتظار رد ماأرسله من شكوى حتى يرى الفرعون مايريد أن يفعله معه.

(١٩)

دخل خونانوب إلى حاكم الإقليم ، بادره الأمير غاضباً.

– كيف تجرؤ على قول هذه الاتهامات الباطلة؟ ألا تخشى غضبى ونفاذ صبرى؟

أجاب خونانوب بثبات.

– لن أصمت حتى يتحقق العدل .

رفع حاكم الإقليم يده محذراً.

Loolo
www.dvd4arab.com

– لكنك قد تسجن أو تضرب بالسياط . ها أنا أحذرك كف عن الشكوى والصراخ .

سأل خونانوب بحدة

– إذا كان صبرك ينفذ من مجرد كلمات فكيف لم ينفذ صبرك وهو يرى كل ما أتعرض له من ظلم . وجور ؟

كان صوت الحاكم مازال غاضباً .

– قلت لك سنحقق فى شكواك ثم نستدعيك لكنك بدلاً من أن تنتظر أتهمتنا بما يستوجب العقاب ، والآن هى كلمة واحدة إذا رجعت إلى الشكوى والصراخ وتجاوزت حدودك فيما تقول فعقابك سيكون رادعاً . هل فهمت ؟

نظر إليه خونانوب . كظم غيظة ولم ينطق .

صرخ الحاكم غاضباً .

– انطق . إنى فى أنتظار ردك .

كانت نظرة خونانوب للحاكم ممتلئة بالمعانى .. أجاب بتؤدة وهدوء .

– نعم سأرد . سيصلك ردى غداً ...

تغيرت لهجة الأمير . آمل أن يعود خونانوب إلى عقله ويخفف من حدة كلماته التى تسىء إلى سمعته أمام الناس .. أو مأ برأسه .

– ليكن هذا لك .

إنصرف خونانوب بينما تابعه الأمير وهو ينظر إليه أسفاً لما وصل إليه حاله من هزال وشحوب .

(٢٠)

حاولت زوجة خونانوب أن تصرف زوجها عن شكواه .. حذرته من مغبة تحديه لحاكم الإقليم ومايمكن أ يتعرض له من أخطار ، ثم استعطفته باكية وهى تقول:

– هل بعد أن فقدنا غلالنا ومالنا نفقدك أنت ؟

ماذا لو سجنت أو أوذيت ؟

كانت عينا خونانوب تبرقان بوميض حار .. لكنه لم يجب .

أمسكت زوجته بيده وقبلتها .. استطردت .

– بحق الإله .. أترك الأمر له وهو سيقتص لك ، إنه يعرف أنك مظلوم وقد عوضك عما فقدته بل عوضك بأكثر مما فقدت.

خرج خونانوب عن صمته .

– الموضوع لم يعد ما سلبه منى دجحوتى نخت ، لقد تحول إلى حق لابد أن ينتصر على الظلم .

أمسك خونانوب بوجه تحوت بين يديه .. تدلل تحوت على أبيه سأله .

Looloo
www.dvd4arab.com

– ماذا ستفعل يا أبى ؟

أجاب خونانوب موزعاً نظراته بين تحوت وزوجته .

– لولا معرفة الإله بالظلم الذى وقع علينا ما أرسل لنا الطعام والكسوة ، لكن الإله الذى أرسل عطاياه لأننى لم أحد عن الحق وقاومت الظلم لن يسامحنا إذا استسلمنا للظلم ولم نواجهه .

توقفت نظراته عند تحوت وسأله .

– هل تفهم ما أقول ؟

أجاب تحوت بثقة .

– نعم يا أبى ، الحق الجميل الطيب لابد أن ينتصر على الشر الظالم القبيح .

كانت زوجة خونانوب تعرف إصرار زوجها وتصميمه.

أخذت تحوت فى حضنها وطلبت من الإله الحماية والعون .

(٢١)

كتب خونانوب شكواه الخامسة حتى يفهم منها حاكم الإقليم إنه سيكمل الشوط حتى نهايته .

أنه لن يستسلم أو يتراجع . لن يرضخ للتهديد حتى ولو مات فى سبيل قضيته ، سيتوج من الإله لأنه لم يستسلم للظلم .

كانت الكلمات أكثر حدة وقوة .

«لقد نصبت لتسمع الشكاوى

وتفصل بين المتخاصمين

وتضرب على يد السارقين

ولكن تأمل فإنى لا أراك تفعل شيئاً

غير مناصرتك للظلم

أولاك الناس ثقتهم فتخليت عنهم» .

Looloo
www.dvd4arab.com

لم ينم خونانوب ليلته إلا بعد أن أطمأن أن الرسالة وصلت إلى حاكم الإقليم وأصبحت فى يده .

(٢٢)

عاد القلق إلى دجحوتى نخت .

لقد كاد ينسى أمر هذا الفلاح المشاغب ، أخبرته عيونه بزيارات خونانوب الأخيرة للأمير .

طمأن دجحوتى نخت نفسه قائلا :

لعلها بسبب شكاوى هذا الفلاح الذى لايريد أن يصمت ، إنه لن ينتظر حتى يتسبب هذا الفلاح فى إحراجه أو توبيخه أو عقابه من الحاكم .

أستدعى دجحوتى نخت رجاله . أمرهم أن يترقبوا خونانوب إذا عاد للأمير مرة أخرى .

يتربصون له عند دخوله لقصر الحاكم ثم ينهالون عليه ضرباً حتى لايقوى على الكلام .

كرر دجحوتى نخت الأمر وعيناه تقدحان شرراً .

– عليكم بمنع خونانوب من الوصول إلى الحاكم حتى لو أدى الأمر إلى قتله .

(٢٣)

لم يصدق حاكم الإقليم نفسه وهو يقرأ شكوى خونانوب الخامسة .. من أى طبيعة هذا الرجل !!

أى تصميم يحمل وأى إرادة بين جنبيه!!؟

إنه يتحداه بلا خوف ولا ضعف .

كانت الكلمات شديدة .. ليكن إنه متعاطف وفخور بإصرار هذا الفلاح لكن هناك هيبة المنصب التى لايمكن أن تمر دون حساب.

كيف يتهمه بمناصرة اللصوص ؟ ، كيف يتهمه أنه لايقوم بما عليه من عمل وواجب فى سماع الشاكين والفصل بين المتخاصمين والضرب على أيدى اللصوص والسارقين ؟

إنه يقول له صراحة لا أراك تفعل شيئاً .

أى تحد هذا له ولهيبة الحاكم !!

رينسى بن ميرو الذى عرف فى شمال البلاد وجنوبها بأنه الأمير العادل الذى لايتوانى فى عمله والحاسم فى أمره والمقيم للعدل فى مقاطعته ، نصير المظلومين وحامى الضعفاء يهزأ به خونانوب ويجعله حامياً للصوص .

قرر رينسى بن ميرو أن ينفذ تهديده لخونانوب رغم إشفاقه عليه .. كتم الأمر ضرورياً حتى لاتتزعزع هيبة الأمير أمام أهالى المقاطعة.

Looloo
www.dvd4arab.com

كان يرى نفسه رمزاً للفرعون وهو لايقبل أى تشويه لهذا الرمز :

أطلع الحاكم قاضى المقاطعة على شكوى خونانوب.

طلب أن يعاقب خونانوب على ما فى كلماته من إساءة شخصية إليه .

بعد أن أعاد القاضى الشكوى إلى الأمير .. سأله :

– هل يعترف هذا الفلاح أنه هو الذى كتب الرسالة بنفسه ؟

أجاب الحاكم بثقة :

– بالتأكيد سيعترف .. انه لايكذب ولا يحيد عن الحق ولا يتملق أحداً بالكلام .

تعجب القاضى جداً .

– إذن سنأخذ باعترافه ونوقع عليه أقصى العقوبة .

أندفع الحاكم محذراً .

– لا .. خفف عنه العقوبة بقدر ماتستطيع .

ازداد عجب قاضى المقاطعة .

شرح رينسى بن ميرو الأمر للقاضى .

– مادفعه إلى هذا القول إحساسه بالظلم .

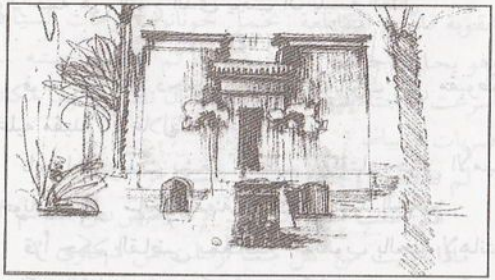

فيلم شكاوى الفلاح الفصيح..اخراج شادى عبد السلام (مشهد ٤٠، لقطة ٥٠)

فيلم شكاوى الفلاح الفصيح..اخراج شادى عبد السلام (مشهد ٥٠، لقطة ١٠)

Looloo
www.dvd4arab.com

كل ما أطلبه الحفاظ على هيبة الحاكم .. والرحمة هى التاج الذى يجب أن يلبسه العدل .

(٢٤)

فوجىء رجال دجحوتى نخت بخونانوب يأتى مقبوضاً عليه مقيداً بالأغلال .

تابعوا مايحدث بشغف عظيم .. اقتاد حرس الأمير خونانوب إلى ساحة المدينة حيث تم تنفيذ الحكم .

قرأ حكم القاضى بمعاقبة خونانوب بالجلد لإهانته لحاكم الإقليم فيما يكتبه من شكاوى .

أسرع رجال دجحوتى نخت يزفون الخبر السعيد إلى رئيسهم ، كان فرح دجحوتى نخت عظيماً .

الآن لم يعد الأمر بينه وبين خونانوب .

لقد أصبح الأمر بين خونانوب والحاكم نفسه ، وفى كل مرة سيقدم خونانوب شكوى جديدة سيعرض نفسه للجلد والعقوبة .

أمر دجحوتى نخت رجاله بعدم التعرض لخونانوب والاكتفاء بمراقبة مايحدث من بعيد.

وكان يأمل ألا يعود موضوع هذا الفلاح ليعكر صفوه مرة أخرى .

(٢٥)

كان ضرب خونانوب بالسياط بدلاً من الحبس هو عقوبة قاضى المقاطعة تحمل خونانوب قرعات السياط وهو يحاول جاهداً ألا يصرخ ألماً ثم عاد إلى بيته ... أسرعت زوجته إليه .. طلب إلهيا أن تضع له زيتاً مكان ضربات السياط .

لم تستطع زوجته أن تمنع نفسها من الكلام .

– ألم أطلب منك أن تترك الإله يقتص من الظالم ؟

ماذا جنيت من كل ما أرسلت من شكاوى ؟

أقبل تحوت إلى أبيه .. أرتمى فى حضنه ، تبددت كل آلام خونانوب .. شعر أنه يستمد قوة عجيبة من تحوت الصغير .

لقد أنقذه فى الوقت المناسب من الإحباط واليأس .

همس تحوت

– أبى لقد رأيتك أمس فى نومى والإله يضع عليك يده فى المعبد المقدس .

فرت دمعة من عين خونانوب .. مسحها بسرعة وتصميم .. لن يضعف .. سيواصل الشكوى .. وإن لم يجد العدل فى وطنه سيهيم على وجهه .

Looloo
www.dvd4arab.com

سيثبت لأمير المقاطعة أنه لايخشى التهديد .. وأنه سيواصل الدفاع عن حقه حتى يناله أو يموت دونه .. ولن يخذله الإله .

لا لن يصغر فى عينى ابنه .. ان تحوت الصغير يستحق كل تضحياته لكى يعيش فى كرامة ضم خونانوب تحوت إلى صدره وقبله . أشرقت ابتسامة على وجهه وهو يربت عليه قائلاً :

– لاتخف نحن أقوياء لأننا نملك الحق .

ثم بدأ يكتب شكواه السادسة .

«إن حزنى يحملنى على الفراق

ويدفعنى إلى الرحيل

لا تتوان فى شكايتى

إنك تسير أمورك علي عكس ماينبغى» .

Looloo
www.dvd4arab.com

(٢٦)

ما أن نظر حاكم الإقليم إلى شكوى خونانوب السادسة حتى أستشاط غضباً .

ماهذا الرجل ؟ من أى طبيعة هو ؟ إنه لم ييأس حتى بعد أن ضرب بالسياط وهدده قاضى المقاطعة بالحبس إن عاد إلى إهانة الأمير .

لا . لابد أن يؤدب هذا الفلاح . ستكون العقوبة هذه المرة رادعة . إن هيبة الحكم هى ضمان الأمن والاستقرار واحترام الناس للقانون . انه لن يحتمل إهانات أكثر من ذلك .

فتح الأمير الرسالة بسرعة .. بدأت ملامح الغضب فى التسلل خارج صفحة وجهه ، تبدلت قسماته لتمتلىء بالتعاطف والرحمة .

كان حديث خونانوب عن ترك البلاد والرحيل عنها مؤلماً أشد الألم . لو نفذ خونانوب تهديده ورحل عن البلاد ماغفر رينسى بن ميرو لنفسه العمر كله ولطارده شعوره بالذنب والمشاركة فى ظلم هذا الرجل .

قرر رينسى بن ميرور أن يفعل شيئاً لأجل خونانوب فكر ماذا يفعل والفرعون العظيم أمره ناهى «لا تجب خونانوب إلى شكواه» ؟ فكر كثيراً ...

دخل الخادم إلى قاعة الأمير .

– سيدى الحاكم.. رئيس الشرطة فى انتظار الأمر بالدخول.

رئيس الشرطة!! لمعت فكرة جريئة فى عقل الأمير..

عندما انتهى رئيس الشرطة من سرد تقريره للحاكم طلب الإذن بالإنصراف. استبقاه الأمير قائلا:

– قبل أن تنصرف لدى مهمة سرية أريدك القيام بها فى أقصر وقت.

امتلأت عينا رئيس الشرطة بالاهتمام. أجاب.

– لتأمر سيدى الأمير.

همس الأمير رينسى بن ميرو باسم «دجحوتى نخت» طلب من رئيس الشرطة أن يتحقق من سلوكه خاصة وهو موظف مهم فى بلاط القصر وأى إثم يقترفه أو ظلم ضد الناس يسىء إلى هيبة الحكم وموظفى الفرعون.

أحنى رئيس الشرطة رأسه، طلب مهلة صغيرة للتنفيذ.

عندما صافح حاكم الإقليم رئيس الشرطة، قال آمرا:

– مهما جمعت من أدلة ضده لا تقبض عليه إلا بأمرى أنا شخصيا.

Looloo
www.dvd4arab.com

(٢٧)

فى وقت قصير أكمل رئيس الشرطة مهمته، كان عدد الجرائم التى جمعها أكثر كثيرا مما تصور. كان رئيس الشرطة مذهولا من كثرة ما جمع من أدلة.. فكر.. كيف لم تقدم شكاية إليه من قبل ضد هذا الموظف الفاسد والشرير؟ كيف سلب الناس أموالها وممتلكاتها دون أن تعرف الشرطة عنه شيئا؟ لولا حاكم الإقليم العادل الذى لا يطيق الظلم ويقتص من الظالمين هو الذى نبهه عن هذا الشرير ما عرف عنه شيئا.

تعجب رئيس الشرطة من هذا الموظف الذى أسبغ عليه الفرعون كرامة العمل فى بلاطه كيف يظلم الناس ويسلبهم حقوقهم بدلا من أن يخدمهم لتنطق أفواههم بالشكر والعرفان للفرعون.. إنه هكذا يخون الملك والناس ويستحق أقصى جزاء.

شىء واحد لم يجد رئيس الشرطة إجابة له.

لماذا يصمت الناس عما يحدث لهم؟ صمت الناس عن حقهم يزيد ظلم الظالم ولا يقيم العدل، العدل يحتاج لمن يساعده، إذا لم يتكلم الناس ويقاوموا الفساد ويشتكون ظالميهم كيف يعرف القائمون على العدل بأمرهم، الناس بصمتها تشارك فى نشر الظلم وكثرة

الفساد. الشر يكبر ويتوحش إذا لم يقاوم، الناس تظن بصمتها أنها تبعد بذلك نفسها عن الشر وانتقام الأشرار.. بذل رئيس الشرطة مجهودا كبيرا ليقنع الناس بخطأ رأيهم. وان صمتهم سيساهم فى أن يطولهم الشر يوما ما. ستزيد قوته ولن يفلت أحد يومها من قبضة يده. على الناس أن تقبل التضحية إذا أرادت أن تنتصر فى معركتها ضد الشر.

أسرع رئيس الشرطة إلى حاكم الإقليم ليضع تحت يده ما جمعه من أدلة. كان يتوق لسماع الأمر بالقبض على هذا الشرير الظالم ليقتص منه.

(٢٨)

وضع رئيس الشرطة كومة من الأدلة أمام حاكم الإقليم، قال ظافرا:

– يمكنك الآن أن تأمر بالقبض على الشرير دجحونى نخت وأنت مستند إلى القانون والعدل.

سأل الحاكم باهتمام:

– هل كل هذه الأدلة ثابتة وقاطعة أم هناك احتمال فى براءته.

أجاب رئيس الشرطة فى ثقة:

Looloo
www.dvd4arab.com

– لو كان هناك مائة دليل على ظلمه ودليل واحد على براءته ما جئت إليك قبل أن أتهم إنسانا بريئا حتى ولو كانت برائته مجرد احتمال ضعيف.

لمح حاكم الإقليم سؤالا حائرا فى عينى رئيس الشرطة. ابتسم مشجعا ثم قال:

– لديك كلام تريد أن تطرحه. ماهو؟

– نعم يا سيدى بالفعل كان هناك ظلم هائل كان يجب أن نتدخل فى منعه.. هذا واجبنا لكن العيب عيب الناس الذين لم يتكلموا ولم يشكو، من أين لنا يا سيدى أن نعرف، وهل كل هؤلاء الناس الذين ظلموا لم يشك منهم أحد؟ إذن هم بسلبيتهم يشجعون ويساندون الظلم.

أجاب حاكم الإقليم فى هدوء.

– لا يا صديقى.. الناس لم تصمت.. هناك الذين يتمسكون بحقوقهم مهما تعرضوا لأذى.

أسرع رئيس الشرطة مدافعا:

– لم أجد يا سيدى..

ابتسم حاكم الإقليم وهو يمد يده بشكوى جديدة لخونانوب.

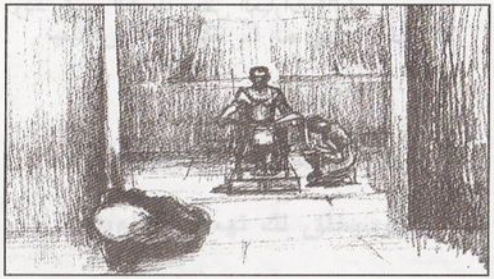

فيلم شكاوى الفلاح الفصيح..اخراج شادى عبد السلام (مشهد ٧٠، لقطة ١٤٠)

Looloo
www.dvd4arab.com

أمسك رئيس الشرطة بالشكوى.. قرأها ثم هب جزعا.

– حتى ولو كان أكبر كتبة مولانا الملك نيبقورع لشكوته على إهاناته وأخذت حقى منه.

سأل الحاكم:

– ما هى العبارات التى أثارتك فى هذه الشكوى؟

ردد رئيس الشرطة بعض العبارات ثائرا:

– «لا تكن عنيدا فليس العناد من شيمك

لا حياة لفقير ما لم تكن له فى قلب

العدالة منزلة.

سيضيعك إهمالك ويؤذيك جشعك

وسيخلق لك نهمك أعداء»

Looloo
www.dvd4arab.com

استطرد رئيس الشرطة:

– هل هذه الكلمات موجهة لك؟ أنا لا أصدق. من هذا الكاتب الكبير الذى لا تستطيع أن تأخذ حقك منه وتقف قبالته؟

ازدادت ابتسامة رينسى بن ميرو حتى تعجب رئيس الشرطة، أجاب الحاكم:

– إنه ليس أحد كتبة مولانا الملك. إنه مجرد فلاح بسيط أحد ضحايا دجحوتى نخت والظلم أطلق لسانه، هذه ليست شكواه الأولى بل السابعة.

عقدت الدهشة لسان رئيس الشرطة.. لكنه استجمع نفسه وقال:

– الشكوى السابعة!! هذا الرجل يتكلم من يأسه لأن أحدا لم يجب شكواه. لتأمرنى إذن بسرعة القبض على هذا الشرير الأثيم.

وكأن حاكم الإقليم وجه لطمة قاسية إلى رئيس الشرطة وهو يجيبه:

– ليس الآن.. عندما آمرك بذلك.

(٢٩)

أضاء بيت دجحوتى نخت احتفالا بانتصار الشر. دارت أكواب الجعة على الحاضرين. بينما كان

دجحوتى نخت يتحرك بزهو وانتشاء وهو يشعر أنه حقق انتصاره النهائى فى قصة هذا الفلاح التى طالت أكثر مما ينبغى.

كانت الأخبار قد آتتهم من عيونهم المدسوسة فى كل مكان أن رئيس الشرطة يبحث بنفسه فى أمر دجحوتى نخت. الأمر أعاد القلق والخوف فى نفس الموظف الشرير لكن البشرى ما لبثت أن زفت إليهم من نفس المصادر بخروج رئيس الشرطة غاضبا من قصر الأمير بعد أن رفض الأخير القبض على دجحوتى نخت.

تأكد عندئذ دجحوتى نخت أن حاكم الإقليم يضع كل البلاط وموظفى القصر تحت حمايته المباشرة ولن يسمح بأى ضرر يصيبهم، خاصة وأن الشاكى مجرد فلاح بسيط وليس من أصحاب الجاه والسلطان.

هنا شعر دجحوتى نخت بانتصاره الكبير وأنه يستطيع أن يمارس كل شره دون أن يجرؤ أحد على الاعتراض.

فكر دجحوتى نخت أن يرسل هدية عظيمة إلى حاكم الإقليم تعبيرا عن شكره وامتنانه ثم ليسرق بعد ذلك مطمئنا إلى حمايته له.

كان رئيس الشرطة غاضبا. لماذا يمنعه حاكم الإقليم من القيام بواجبه، كيف يشعر أنه أمير فى عمله وهو

Loolop
www.dvd4arab.com

يرى اللصوص والسارقين ولا يضرب على يدهم؟ إنه لو لم يفعل ذلك فالأفضل أن يترك منصبه، إنه لم يتول مسئوليته من حاكم الإقليم. إنه مثله معين من قبل الملك، ولن يقبل أن يشاهد الظلم ولا يتقدم لمواجهته حتى لو استدعى ذلك مقابلة الفرعون نفسه وإطلاعه على الأمر وأخذ إذنه هو فى القبض على دجحوتى نخت.

سيكمل أدلته إذن بموضوع هذا الفلاح الذى اسمه خونانوب.

قرر رئيس الشرطة أن يذهب إلى خونانوب. إن حاسته تؤكد أن هناك سرا مع هذا الرجل وإلا كيف يلقى باتهاماته الشنيعة ضد حاكم الإقليم ويصمت الحاكم ولا يقتص له ولا يعاقبه.

نهض رئيس الشرطة. استدعى رجاله طلب منهم التأكد من شخصية هذا الفلاح ومعرفة كل شيء عنه وإبلاغه بأسرع ما يستطيعون. قال لنفسه مهما كانت صداقتى للأمير رينسى بن ميرو فالحق أبقى من كل صديق.

(٣٠)

فوجيء خونانوب برئيس الشرطة يقرع داره، صاح متهللا.

- أخيرا اهتم حاكم الإقليم بشكواى وأرسلك لى.

جلس رئيس الشرطة إلى خونانوب وقال له:

- لقد جئت للتحقق من شكواك بنفسى فهل تقص لى قصتك منذ البداية وحتى الآن؟

دهش خونانوب جدا.

- ألم يبعث بك حاكم الإقليم إلىّ؟

أجاب رئيس الشرطة.

- لا.. لقد سمعت بظلم دجحوتى نخت للناس وأريد أن أعرف منك ما حدث لك.

رد خونانوب بأسى:

- تسمع تعرف ثم لا شيء كما حدث مع حاكم الإقليم؟!

طمأن رئيس الشرطة خونانوب.

- وأريد أن أعرف أيضا ما حدث مع حاكم الإقليم وسترى أنى سأستصدر أمرا بالقبض على دجحوتى نخت ولو من الفرعون نفسه.

انبسطت أسارير خونانوب، قص قصته كاملة على رئيس الشرطة، حكى عن الشكاوى السبع التى أرسلها لحاكم الإقليم.. استطرد قائلا:

Looloo
www.dvd4arab.com

– لكننى لن أكف عن الشكوى حتى يستجيب الحاكم إلى طلبى ويرفع الظلم عنى، ها هى شكواى الثامنة لم تجف بعد.

ظهر التأثر على وجه رئيس الشرطة، فكر قليلا طرأت على عقله فكرة. قال لخونانوب:

– هل يمكن أن تكتب لى نسخة أخرى من هذه الشكوى وسأعرضها بنفسى على جلالة الملك، أنا ذاهب إلى الفرعون غدا، سأفي بوعدى لك وسآخذ الأمر بالقبض على هذا الشرير من الفرعون نفسه.

عندما خرج رئيس الشرطة احتضن خونانوب ابنه تحوت وأخذ يلف به أركان البيت صائحا:

– مهما طال الوقت لابد أن يعود الحق إلى أصحابه الذين لم ييئسوا من المطالبة به، ألم أقل لك نحن أقوياء لأننا نملك الحق.

أقبلت زوجة خونانوب فرحة، أمسكت يد زوجها:

– أنا فخورة بك. دائما أقول لتحوت لك أب عظيم، اغفر لى خوفى عليك الذى جعلنى أطلب منك عدم الاستمرار فى الشكوى، لكنك دائما تزداد مكانة عندى. هذه المكانة أزرعها دائما فى قلب تحوت الصغير.

عاشت الأسرة ليلة رائعة.

(٣١)

هكذا تحققت خطة الأمير رينسى بن ميرو دون أن يفصح عنها لأحد، ان رئيس الشرطة المسئول عن الأمن وسحق اللصوص، لن يترك هذا اللص السارق دجحوتى نخت دون القبض عليه، وإذا لم يعطه هو الأمر بذلك سيسعى إلى الفرعون، إنه يعرف أمانة رئيس الشرطة وواجبه الذى يسبق كل أموره الشخصية، أخيرا سيطلب أحد غيره من الملك القبض على هذا الموظف الشرير.

وقف رئيس الشرطة بين يدى فرعون مصر. عرض أمر دجحوتى نخت على جلالته، ثم قدم إلى الملك نيبقورع شكوى الفلاح الثامنة وهو يقول:

– هذه شكوى فلاح مسكين اسمه خونانوب، أنا واثق أن قلبكم الطيب سيستجيب لها وتأمرون جلالتكم بإعادة حقوقه إليه ومعاقبة هذا الموظف الذى لم يتورع عن الشر حتى وهو فى بلاطكم الملكى أمسك الفرعون بشكوى خونانوب ظهر الرضى والحبور على وجهه الملكى، أعطى الشكوى إلى الوزير وهو يأمر.

– أقرأها علىّ مرة أخرى..

قرأ الوزير بينما الملك يهز رأسه إعجاباً.

Looloo
www.dvd4arab.com

«الناس معرضون للسقوط بسبب الطمع
إنك جشع وذلك لا يتفق معك
إنك تسرق وذلك لا يليق بك
لأن جوفك قد ملء ولأن مكيال القمح قد طفح
فإذا هز طفح وضاع على الأرض.
أقم العدل لرب العدل الذى أصبحت عدالته موجودة
أنت يا أيها القلم وأنت أيتها البردية
ويا أيتها الدواة ويا «تحوت» ..
ابتعدوا عن عمل السوء
الحق يذهب مع من يعمله إلى القبر أما اسمه
فلن يمحى من الأرض بل سيذكر بسبب الحق
وهذا عدل الله فى كلمته
أقم العدل لأنه عظيم وكبير ويعيش طويلاً
والاعتماد عليه يؤدى إلى العمر الطويل.

كان كل من فى القاعة مبهوراً بفصاحة شكوى خونانوب، علق أحد رجال الحاشية

– ليتك يا مولاى تضمه إلى كتبة جلالتكم.

أستبشر رئيس الشرطة

– هل تأمرون جلالتكم بالقبض على دجحوتى نخت وإعادة حق خونانوب إليه؟

تمهل الفرعون نبيقورع وهو يأمر

– أترك دجحوتى نخت لا تقبض عليه.

دارت الأرض برئيس الشرطة. أحس أنه لا يقوى على الوقوف.

إنه لا يصدق نفسه هل هو فى حلم أم كابوس، متى يفيق؟

تمتم فى ذهول

– وخونانوب يا مولاى!!

تلقى لطمة أخرى من فرعون أفقدته كل اتزان.

قال الفرعون بأمر نافذ.

– دعه يستمر فى الشكوى. لا تسمع له.

(٣٢)

انتظر خونانوب رد رئيس الشرطة، طال الانتظار بلا فائدة.

Looloo
www.dvd4arab.com

ذهب إلى مقر رئيس الشرطة. طلب مقابلته.

خرج إليه أحد رجال الشرطة. أخبر خونانوب بأن رئيس الشرطة لا يقابل أحداً فى هذا اليوم لأنه مشغول جداً.

طلب منه أن يترك اسمه وعنوانه وسيبعث فى طلبه متى يفرغ من مشاغله.

أنطفأ وجه خونانوب...

ماذا يفعل لهم هذا الرجل الشرير دجحوتى نخت؟

لماذا يبدون متعاطفين معه بهذا الشكل بالرغم من معرفتهم للحقيقة واعترافهم بها؟

هاهو رئيس الشرطة يهمله كما أهمله حاكم الإقليم.

كلهم يميلون إلى جانب الشر والفساد، ماذا يبقى بعد ذلك..

هل كانت زوجته على حق؟

هل أخطأ عندما طالب بحقه؟

ما جدوى كل ما فعله..؟

ما جدوى مقاومته للظلم؟

لقد سرقت حميره ونهبت بضاعته وعندما طالب بحقه انهال عليه رجال دجحوتى نخت ضرباً وركلاً..

وعندما كتب شكايته وانتقد الأمير لعدم قيامه بواجبه لم يكن نصيبه إلا القيد والجلد.

يكفى ما أصابه من ضنك وأهوال.. من ضرب وجلد..

ليستمع إذن إلى نصيحة زوجته وليطوى ألامة بداخله.

ليكف عن الشكوى ومقاومة الظلم..

ليستسلم..

ليرح جسده ويستسلم..

ليرح عقله ويستسلم..

ليستسلم..

انهمرت دموع خونانوب..

كان طعم الدموع لاذعاً.. مراً..

كانت الدموع تقف فى حلقة لايستطيع ابتلاعها

حاول أن يبلتع آلامه لكن ذلك كان صعباً فوق تحمله

ما أقسى إن يبتلع الإنسان الظلم.

لكنه أفاق ونحوت يقف أمامه.

وقد حمل لوحاً مستطيلا من الجص على اللوح

كانت صورة لجيش كبير صنعها نحوت من الطين الرطب.

Looloo
www.dvd4arab.com

كـان الجـيش بكل جنوده وأسلحـتـه ملقى على الأرض..

كل الجيش طريح على الأرض مهزوم ومبعثر وأسلحته ملقاه يمينا ويساراً فى إهمال.

وإنكسار...

وأمام الجيش.. فى مقابله من الناحية الأخرى تمثال واقف لرجل وحيد أعزل..

كـان الإله مـاعت إله العـدل يقف فى ظهـره وقـد التصق به.

بينمـا ثقب يمتـد من عـينى الإله مـاعت إلى عـينى الرجل الواقف أمام الجيش المهزوم.

كان منظر العينين عجيباً وغريباً..

صاح تحوت:

– أنظر يا أبى..

لملم خونانوب نفسه من أرض أحزانه..

كان الإعياء واضحاً على صوته وهو يجيب

– ما هذا؟

أشار تحوت ناحية الجيش المهزوم وقال

– هذا هو جيش الظلم الذى يحاربك يا أبى..

كم هو كـبـيـر وكـثـيـر ويحـمـل من الأسلحة مـا لا تحمل..

لكن هذا هو أنت يا أبى..

لكنك لست بمفردك..

فالإله مـاعت يقف فى ظهـرك وهو الذى أرسل من عينيه شعاعاً قوياً ملتهباً

كشعاع الإله رع

لقد سار الشعاع عبر عينيك يا أبى

فسقط كل هذا الجيش مهزوماً أمامك..

انهمرت دموع كثيرة من عينيى خونانوب..

لكنهـا أبداً لم تكن بطعم الدمـوع السابقـة.. ليست مرة أو لاذعة..

كان طعمهـا رائعاً وجميلاً.. دموع كدموع الفرح طعمها حلو المذاق

يفوق لذة أى شراب آخر.

نهض خونانوب ودون أن ينطق بكلمـة حاط تحوت بذراعيه...

(٣٥)

قرر خونانوب أن يتقدم بشكواه الأخيرة إلى حاكم الإقليم، كـانت كلمـات الشكوى التـاسعـة ملتـهـبـة لا تخشى أحداً..

Looloo
www.dvd4arab.com

«لا تكن ثقيلاً فما أنت بخفيف
ولا تكن بطيئاً فما أنت بسريع
لا تنهر من أتاك مستجيراً
أخرج من بطنك وأقض بالعدل
لا تغمض عينيك عما تراه
لا تقس على من جاء يشكو إليك
عندما يكون المتهم فقيراً والفقير شاكياً
يصبح العدو فتاكا»

عندما انتهى خونانوب من كتابة شكواه، نادى زوجته، أمرها أن تعد له الطعام، نظرت إليه زوجته غير مصدقة، أخيرا يطلب الطعام بعد أن زهد فى كل شئ وأصبح هزيلاً ضامراً.

قالت فرحة

– الحمد لله أخيراً ستأكل!!، لقد فعلت كل ما بيدك أن تفعله وأرضيت الإله. نحن لا نريد أن نفقدك.

دع الأمر للإله واسترح.

سمع تحوت كلمات أمه فانزوى حزنياً فى أحد الأركان.. كان ينتظر عودة أبيه منتصراً فى معركته ضد الشر.. انه لا يصدق أن الشر يمكن أن ينتصر على الخير مهما تكن قوته.. انتبه على صوت أبيه مستنكراً وهو يخاطب أمه.. بينما نظرات أبيه مركزة عليه فى ركنه.

– ما هذا الهراء الذى تقولينه، سأذهب إلى فرعون إذا لم يصل الرد على شكواى الأخيرة هذه، لذلك أريد أن أتقوى حتى أستطيع مواصلة الرحلة. سأشكوهم جميعاً إليه وسآخذ حقى من الفرعون نفسه.

كانت الإجابة مخيبة لكل توقعات الزوجة لكنها جعلت تحوت ينطلق من ركنه صوب خونانوب ويرتمى فى حضنه ويقبله فرحاً.

Looloo
www.dvd4arab.com

عندما فرغ خونانوب من طعامه ربتت عليه زوجته بحنو لا أثر فيه لضعف.. همست سر أنا فخورة بك.

(٣٦)

وصلت هدية دجحوتى نخت إلى قصر الأمير رينسى بن ميرو مع أحد عبيده. فكر حاكم الإقليم أن يرجع الهدية إلى دجحوتى نخت مع تقديمه للمحاكمة وطلبه من قاضى القضاة بتوقيع أقصى العقوبة عليه لرشوته البغيضة وشره المتزايد..

عاد رينسى بن ميرو بسرعة متراجعاً عن قراره، لا.. سيدينه بفعلته أمام الفرعون.. يضع كل شئ بين يدى جلالة «ينبقورع» الحكيم والملك العادل.. حتى تكون مجازاة دجحوتى نخت بقدر جرمه الممتد من خونانوب إلى المئات من أمثاله نهاية بهذه الرشوة الشنيعة.

ترك الأمير رينسى بن ميرو العبد يضع هدية دجحوتى نخت حيث أشار.. تمتم لنفسه.. ستكون هذه الهدية حبل الموظف الشرير حول عنقه.

فى نفس الوقت كان دجحوتى نخت يقف فوق سطح بيته مترقباً عودة عبده ليعرف منه النتيجة. أسرع دجحوتى نخت ليقابل عبده، ما أن أعلنه بقبول حاكم

الإقليم للهدية حتى طار فرحاً. لن يقف الآن أحد قبالته، وليذهب أمثال خونانوب إلى من يشاءون، لن يكون هناك من يسمع شكايتهم بعد أن استمال الحاكم.

قرر أن يستولى على كل الأرض التى حوله بل وسيأخذ كل البيوت التى تحيط ببيته ليهدمها ويبنى قصراً يليق به.

أما كل من يجرؤ بعد ذلك على شكايته فسيكون مصيره مقر سيد الصمت.. لقد كان رحيماً بخونانوب عندما إكتفى بضربه، بعد ذلك ليس هناك سوى القسوة والصرامة بل الموت مع كل من يقف فى وجهه.

(٣٧)

كان خونانوب عائداً بعد أن قام بتسليم شكواه التاسعة لخادم حاكم الإقليم فجأة توقف، على الناحية الأخرى من الطريق كان رئيس الشرطة، انطلق خونانوب نحوه. تظاهر رئيس الشرطة أنه لا يراه، لكن خونانوب نادى رئيس الشرطة.

– أيها السيد رئيس الشرطة.

كرر خونانوب النداء.. لم يعد هناك بد من المواجهة، التفت رئيس الشرطة ناحيته.

Looloo
www.dvd4arab.com

– آه.. هذا أنت.. كيف حالك؟

واجهه خونانوب

– الحمد لله.. إننى أسألك ماذا فعلت بشكواى؟

أجاب رئيس الشرطة وهو يتظاهر بعدم الاهتمام

– آه.. شكواك.. لا تقلق.. كل شئ على ما يرام.. إننا نفحص الأمر.. لا تقلق سيتحقق العدل فى وقت ما.

أغضبت الكلمات خونانوب.. رد منفعلاً

– العدل عندما يتأخر هو الظلم بعينه. عموماً سأنتظر اليوم.. وإذا لم يصلنى الرد على شكواى التى سلمتها لخدام حاكم الإقليم سأركب دابتى منذ الصباح وسأرفع الأمر إلى الفرعون نفسه وأخبره بما فعله رجاله بى.

لم يصدق رئيس الشرطة ما يسمع. سأل.

– ماذا؟

أجاب خونانوب وهو ينصرف من أمام رئيس الشرطة .

– سأركب دابتي منذ الصباح وسأرفع الأمر إليْ الفرعون نفسه، سأخبره بما فعله رجاله واحدا واحدا معى .

اسرع رئيس الشرطة إلي حاكم الإقليم، ماذا يفعل لهذا الفلاح الذي سيذهب إلي الفرعون؟ هل يمكن أن يكون الحاكم قد تعرض لموقف مشابه لما حدث له ؟

الآن كلاهما في خندق واحد وقد يستطيع خونانوب تشويه صورتهما أمام الملك .

في قصر الأمير قص رئيس الشرطة ما حدث لحاكم الإقليم . لأول مرة يبتسم رينسى بن ميرو من قلبه منذ حادثة الفلاح المسكين . ها قد وصلت الأمور إلي ما يريد وسيرفع عن كاهله إحساسه بالذنب تجاه خونانوب.. الأمر سيصبح أمام الفرعون وسيعرف خونانوب أنه ظلم حاكم الإقليم كثيرا بالظن والقول .

اصطحب حاكم الإقليم رئيس الشرطة في مركبته واتجها إلي قصر الفرعون ، عندما دخلا القصر كان الملك نيبقورع متصدرا . انحنى حاكم الإقليم ورئيس الشرطة بين يديه، فتح حاكم الإقليم فمه لكن الملك بادره بالسؤال .

– أين آخر شكوي لخوناتوب ؟

تقدم الأمير رينسي بن ميرو بالشكوي وسلمها بإجلال كبير الي الملك .

– هاهي يا مولاي .

قال في نفسه . الملك مهتم جدا بشكاوي خوناتوب لماذا إذن لم يأمر بالقبض علي دججوتي نخت وإعادة حق الفلاح اليه ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

رئيس الشرطة كان غير مصدق لما يحدث، إذن حاكم الإقليم لم يقصر مع خونانوب إنه يعرض الأمر علي الفرعون أولا بأول .. أحس أن هناك سراً كبيراً بجهله .

كان الإعجاب واضحا علي الملك وهو يستعيد بعض فقرات الشكوي .

«لا تكن ثقيلا فما أنت بخفيف .

لا تكن بطيئا فما أنت بسريع » .

قال الملك باسما لحاكم الإقليم .

– لابد أن تلعب بعض الرياضة حتي يرضي عنك خونانوب.

ثم استطرد آمرا .

– هيا عودا إلى المقاطعة حتي تبعثا لي بشكوته التالية.

أجاب رئيس الشرطة .

لكنه يا مولاى لن يبعث بشكاوى اخري .

دهش الفرعون جدا . سأل .

– لماذا ؟

أجاب رئيس الشرطة .

– لأنه سيبكر لجلالتكم غدا ويعرض مظلمته بين يديكم.

اطرق الملك برأسه .. تمتم .

– هذا يكفى ولو أنها خسارة كبيرة .

لم يستطع حاكم الإقليم ان يمنع نفسه من السؤال .

– كيف يامولاى ؟

رفع الملك رأسه وأجاب .

– ستفهم غدا يابن ميرو بكر إلىَّ فى الصباح، وأنت يارئيس الشرطة عليك باحضار دجحوتى نخت معك .

فى قاعة العرش كان خونانوب واقفا فى حضرة الملك، بينما التف حول الفرعون حاكم الإقليم وكبير الشرطة .

فى ركن بعيد كان دجحوتى نخت يقف ذليلا محاطا بحرس الفرعون . أمامه تقف هديته الثمينه شاهدا..

عليه . ساد صمت رهيب جنبات القاعة .

بصوت رخيم تكلم الفرعون نيبقورع ملك مصر .

– تكلم ياخونانوب أعرض شكواك .

سرت الرهبة فى أوصال خونانوب . نظر حوله . الملك

www.dvd4arab.com

يعرف أدق الأسرار هاهو حاكم الإقليم . ورئيس الشرطة حتي الظالم دجحوتي نخت .. ماذا يقول بعد !!

لملم خونانوب كلماته وأجاب الفرعون .

– لقد وصلت شكواي إلي جلالتكم وأنا راض بعدلكم .

ابتسم الملك نيبقورع ابتسامة واسعة . سري شعور بالراحة والسلام في كل القاعة عدا شخص واحد ..

إنه دجحوتي نخت .. الظالم لا يشعر بسلام أبدا .. خاصة عندما يأتي وقت الحساب .

شخصت الأبصار إلى الفرعون نيبقورع .. تنتظر أوامره .

– إسمع ياخونانوب نحن لم نهمل شكواك. وما تركناك تعاني إلا لنستمتع بحسن بيانك وسحر أسلوبك وكلماتك.. ولو كنا اجبناك منذ شكواك الأولى ما ظفرنا منك بتسع شكاوى سنتركها للأجيال نموذجا للفصاحة والأدب . ودليلا على رحابه صدرنا.

نظر خونانوب بخجل ناحية حاكم الإقليم .. ابتسم حاكم الإقليم رينسي بن ميرو غافرا له . استطرد الفرعون ..

– أما حاكم الإقليم الذي تحمل إهاناتك ورئيس

الشرطة فلم ينفذا غير أوامرنا .. وكان حراس معابدنا يرعون امورك ..

وضحت الأمور أمام الجميع وظهر الرضي والحبور علي وجوه خونانوب ورينسي بن ميرو ورئيس الشرطة . لهج لسان خونانوب بالشكر للفرعون ..

اشار الفرعون بيده واستكمل حديثه .

– أما أنت يابن ميرو يا من وثقت في فرعونك وأمانته. وحاولت ان تساعد الفلاح المسكين دون أن تعصي أوامري، وأوسعت صدرك كما يليق بحاكم متسامح لكل كلمات خونانوب التى صدرت عن احساسه بالظلم، فلم تكن الحاكم المنتقم فقد زادت منزلتك عندي وستتولي كل شئون قصري وكل بلاطه.

نظر رئيس الشرطة بتوجس ناحية الفرعون . لم يكن يعرف هل أصاب أم اخطأ عندما خالف حاكم الإقليم وتوجه مباشرة إلي الفرعون .

بابتسامة حانية طمأنه الفرعون وهو يقول .

– وأنت يا رئيس الشرطة لم تقم بغير واجبك .. جعلت امانتك لعملك تغلب عواطفك فنلت تقدير مولاك ..

إنحنى رئيس الشرطة امام الفرعون شاكرا عطفه .

Looloo
www.dvd4arab.com

كانت نظرة الفرعون الى دجحوتى نخت مملوءة بالغضب والوعيد ..

– أما أنت ايها الموظف الشرير دجحوتى نخت ستصير من الآن عبدا بكل أموالك التى جمعتها من السرقة والنهب عبدا لخونانوب ..

أخيرا إلتفت إلى خونانوب ..

– وأنت ياخونانوب .. هذا عبدك دجحوتى نخت بكل ما عنده من أموال وممتلكات صارت ملكك بأمر ملكي، تصرف فيها كما تشاء وأنا واثق أنك ستحسن التصرف بالعدل والحكمة .

وقف الفرعون فأنحنى الجميع ، أشار إلي وزيره ثم أمر .

– خذ شكاوى خونانوب التسع ولتكتب فى برديات القصر لتحفظ على مدى الأجيال.

خرجت بلده وادى الملح كلها تستقبل بطلها خونانوب، اصطحبت زوجته ابنها تحوت وتقدمت الصفوف . عندما رفع خونانوب تحوت عاليا في فخر همس الابن فى أذن أبية .

– هل لى أن أطلب منك طلبا ؟

انزل خونانوب ابنه تحوت واجاب مبتسما .

– سل ماتريد .

ارهفت الجموع اذانها لتسمع مطلب تحوت

– أريد قلما كقلمك .

احتضن خونانوب ابنه بفخر .

– لك ماتريد لكن لا تنسي ان وراء القلم كان الحق والارادة .

قال تحوت بثقة .

– لقد اخذتهما منك .

امسك خونانوب بيد تحوت امام الناس .

– إذن فقد حان الوقت المناسب لتصاحبني في رحلاتى القادمة ..

هتف تحوت الصغير فرحا وجاوبته كل جموع وادى الملك.

ضم خونانوب زوجته اليه عائدا الى بيته.. تمتم لها شاكرا.

– كانت صلواتك من اجلى تحوطنى فى كل خطوه.

اجابت من بين دموع الفرح .

– لم افقد ابدا ايمانى بك ..

Looloo
www.dvd4arab.com

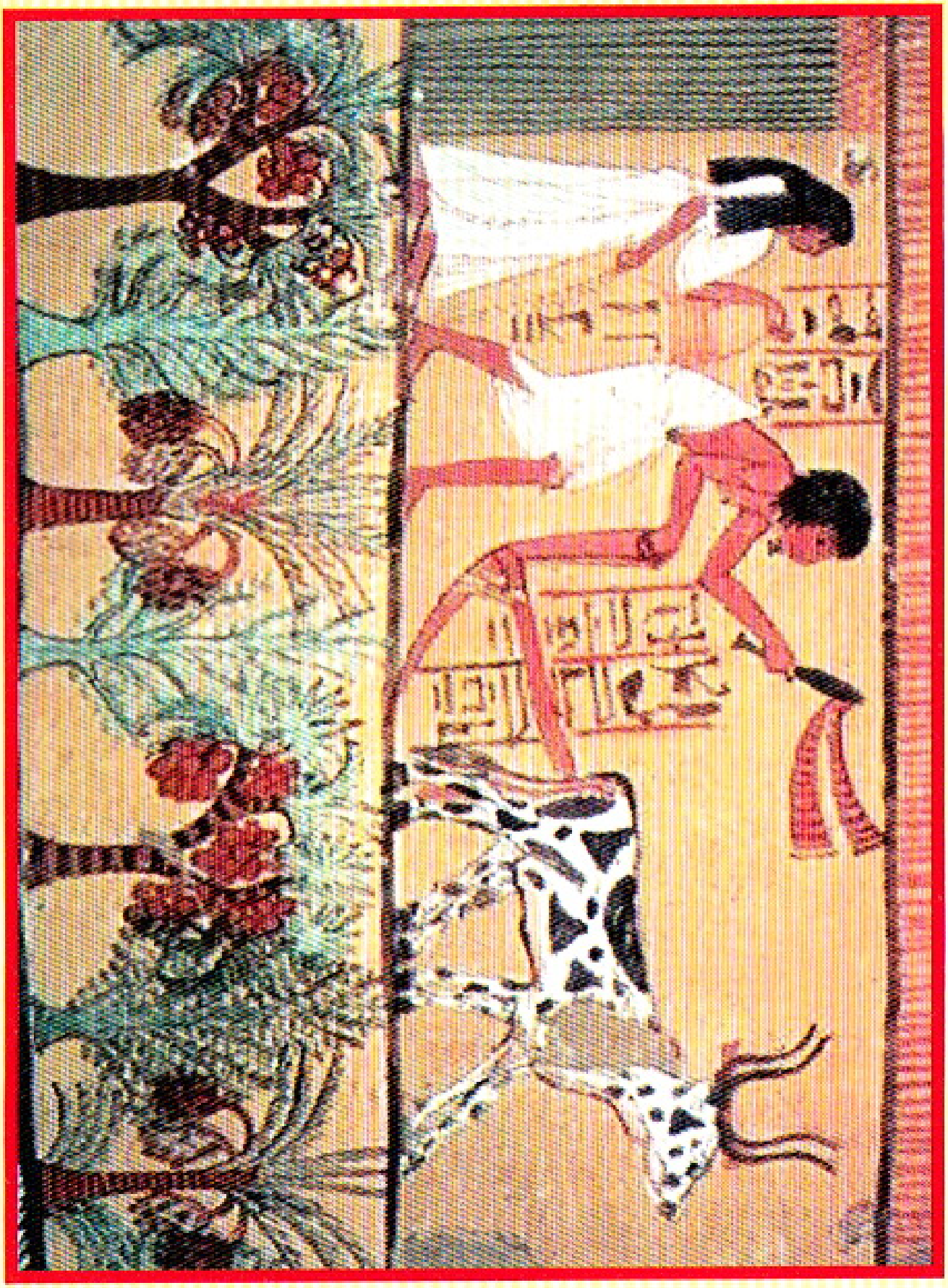

خونانوب .. حرية التعبير أساس الحكم